بـــر الوالدين

تأليف

د . خالد محمد عطيه

(ح) ـ خالد محمد عطيه، ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

عطيه، خالد محمد

بر الوالدين . ـــ مكة المكرمة

٤٨ ص، ١٧ سم

ردمك : ٤ ـــ ٥٧٧ ـــ ٣٩ ـــ ٩٩٦٠

١- الآباء والأبناء ٢- الأخلاق الإسلامية أ – العنوان

ديوي ٢٧،٢٥٢ ٣٠٢٨ / ٢٢

رقم الإيداع : ٣٠٢٨ / ٢٢

ردمك : ٤ ـــ ٥٧٧ ـــ ٣٩ ـــ ٩٩٦٠

الناشر : دار الطرفين ـــ الطائف وادي وج

هاتف : ٧٣٢٩٥٧٢، فاكس : ٧٤٦٣٦٨٨

ص . ب : ٢٥٧٩

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين وسيد ولد آدم صلاة وسلاماً تامين دائمين إلى يوم الدين ثم أما بعد :

كثُرت وللأسف في الكثير من المجتمعات مسألة عقوق الوالدين والعياذ بالله تعالى، وما ذلك إلا لما أضاع الوالدان حسن التربية والعناية بالأولاد، وأهملوا جانب تنشئة الأبناء على خصال الخير والبر والحق والصدق .

ولو أن الآباء اهتموا بأبنائهم ورعايتهم في سن الزرع لكانوا قد جنوا خير ذرية في زمن الحصاد .

ولذلك فهذا كتيب بسيط أعرض فيه ومن خلاله خطر عقوق الوالدين وعصيانهم وبعض أهم الحقوق التي للوالدين

والتي على الوالدين تجاه ولدهما، أسأل الله العلي العظـــيم أن يرقق قلوبنا على آبائنا وأمهاتنا وأن يرزقنا بـــرهم وحســـن طاعتهم ومعاشرتهم والاهتمام بهم والصبر في جميع الأحـــوال عليهما ولا سيما في حال الكبر والضعف وحاجتهما .

كما أسأله سبحانه أن يصلح أبناءنا وأن يجعلهـــم قـــرة أعيننا وأن يهدي قلوبهم لطاعته ســـبحانه ولـــبر والـــديهم مستقبلاً، اللهم آمين، وصلى الله على نبينا محمد خير البريـــة وعلى آله وصحبه أجمعين .

المؤلف

٥ / ٦ / ١٤٢٢هـ

مكة المكرمة . ص . ب : ٤٣٨٢

٠٥٠٤٧٩٩٥١١

عظم حق الوالدين :

أعلم أخي المسلم يا هداك الله أن حق الوالدين عظـــيم عند الله تعالى، وهو حق مبناه على أمور عدة منها وجـــوب الوفاء بالجميل لما قدماه لك في صغرك، ووجوب الإحســـان إليهما ومعاشرتهما بالحسنى لكونها أقرب الناس لك ولكـــون أن علاقة الأبوة والأمومة أقوى وأغلى العلاقات الإنسانية بل البشرية ككل، ووجوب البر بهما والسعي على راحتهما ولا سيما حال الكبر مقابل ما حفوك به وأولوك من عناية ورعاية واهتمام في صغرك، ومعرفة أن كل ذلك يوصل الفـــرد إلى رضا الله تعالى ومن ثم إلى السعادة في الدارين ...

ولما كان شأن الوالدين عظيماً عند الله سبحانه وتعالى قرنه بمسألة عبوديته، فقال جل وعلا مبيناً ذلك : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ

ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾[الإسراء] . وقال تبارك وتعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴿١٥﴾﴾[الأحقاف] . وقال جل جلاله : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴿١٥﴾﴾[لقمان] .

لنتساءل، لماذا قرن سبحانه في الآية الأولى مسألة رضا الوالدين بعبوديته ورضاه تعالى ؟! نلاحظ أن الله تعالى قد ربط بينهما لما في ذلك من عظم شأن حق الوالدين وبرهما والسعي لكسب رضاهما وفي نفس الوقت لقبح العقوق والعصيان، وقد قيل قديماً : (رضا الله من رضا الوالدين) .

قال البغوي رحمه الله تعالى في تفسيره للآية الأولى : (القضاء هنا بمعنى الوصية، إي أنه سبحانه وتعالى وصى الإنسان بوالديه وأمر بالإحسان إليهما والبر والعطف عليهما ولا سيما حال الكبر والضعف، وقد قرن ذلك سبحانه بتوحيده تعالى لعظم ذلك الأمر وعلو شأنه، وكما أمر بعدم زجرهما ونهرهما بل بخفض الذل وهو غاية التذلل والانقياد لهما ولين الجانب والرفق بهما)[1].

وقال القرطبي رحمه الله تعالى : (أن القضاء هنا هو قضاء أمر وليس قضاء حكم، وأن الله تعالى جعل بر الوالدين مقروناً بتوحيده لعظم ذلك الأمر، وأن هذه الآية تضمنت الأمر بالبر والإحسان إليهما ولا سيما حالة الكبر وهما أضعف ما يكونا لحاجة ابنهما، وكما نهى عن عقوقهما

[1] معالم التنزيل، البغوي ج٣، ص١١٠ .

بالتأفف والتبرم منهما وبيّن أن أقل ذلك هو قول (أفّ) وكذلك حرم النهر والزجر والغلظة والخفاء لهما، ثم أمر سبحانه وتعالى بخفض الذل لهما ومعاملتهما باللين والرحمة والشفقة في جميع الأحوال، ثم ذكر سبحانه حالة الصغر وحال تربية الوالدين لولدهما ليتذكر العبد ذلك فيزداد شفقة ورحمة على والديه)[1].

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى : (قضى ربك أي وصى ربك بالوالدين وقرن ذلك بعبادته وأمر بالإحسان إليهما والبر بهما والتواضع لهما وعدم التأفف والتبرم منهما بل وأمر باللين والتأدب والتواضع والتوقير لهما)[2].

---

[1] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ج١٠، ص١٥٥ .

[2] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ج٣، ص٣٤ .

يتضح لنا أيه الاخوة الكرام عظم شأن حق الوالدين في حياة الإنسان، إذ لا يستطيع أحد من الناس أن يكافئ والديه على ما قدما له في صغره من رعاية وعناية حتى شب وصار رجلاً يافعاً ...

أما الآيتان الثانية والثالثة، فقد أمر سبحانه بالوالدين حسناً ثم بيّن عز وجل عظم حق الأم وكيف أنها حملت ولدها وهناً على وهن (ضعفاً على ضعف) وكل ذلك كان كرهاً أي (بمشقة وتعب) . ثم أمر سبحانه بوجوب طاعتهما على كل حال إلا حال المعصية والتي وجب على الابن عندها طاعتهما فيما أمر الله فقط، وقد بيّن سبحانه ذلك في قوله (وصاحبهما في الدنيا معروفاً) أي أطعهما في كل أمور الدنيا وصاحبهما بالمعروف ولا تطعهما في أمور الآخرة إذا أمراك بمعصية، فلا تضر دينك بالمعصية ولا دنياك بالعقوق .

ولننظر لما قررته السنة النبوية المطهرة وما قاله ﷺ في حق الوالدين من خلال جملة من الأحاديث بيّن خلالها ﷺ عظم شأن بر الوالدين والعواقب الحسنة من ذلك، .

وفي نفس الوقت حذر من خطر العقوق والعصيان وما في ذلك من المهالك والعواقب السيئة والتعرض لسخط الله تعالى وغضبه، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

لنسمع لما قاله ﷺ في الوصية بالوالدين وفي بيان خطر العقوق ووخامته على الفرد والمجتمع .

قال ﷺ : (**إن الله يوصيكم بأمهاتكم إن الله يوصيكم بأمهاتكم إن الله يوصيكم بأمهاتكم إن الله يوصيكم بآبائكم إن الله يوصيكم بالأقرب فالأقرب**)[1].

[1] رواه ابن ماجة رقم ٣٦٦١، ورواه البخاري في الأدب المفرد رقم ٦٠ .

وقال ﷺ : (**ألآ أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً الإشراك بالله وعقوق الوالدين ..**)[1]. وقال أيضاً ﷺ (**الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين**)[2]. وقال أيضاً ﷺ : (**ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة** ــ وذكر منهم ــ **العاق لوالديه**)[3]. وقال أيضاً ﷺ : (**أربعة لا يدخلون الجنة** ــ وذكر منهم ــ **عاق والديه**)[4].

---

[1] متفق عليه، البخاري رقم ٥٩٧٦ ، المسلم رقم ٨٧ واللفظ له .

[2] متفق عليه، البخاري رقم ٦٨٧٠ واللفظ له، مسلم رقم ٨٨ .

[3] رواه النسائي رقم ٢٥٦٢ . والبزار رقم ٦٠٥٠ . والحديث بتمامه : (**ثلاثة لا ينظر الله عز وجل إليهم يوم القيامة : العاق لوالديه، والمرأة المترجلة، والديوث، وثلاثة لا يدخلون الجنة : العاق لوالديه، والمدمن على الخمر، والمنان بما أعطى**) .

[4] رواه النسائي في الكبرى رقم ٤٩٢٢ .

أنظر أخي القارئ كيف أنه ﷺ عد العقوق وجعله من أكبر الكبائر بعد الإشراك بالله تعالى في أكثر من حديث، وما ذلك إلا لعظم ذلك الذنب وقبح تلك المعصية الوخيمة، والتي مبناها على جحد النعم والإحسان وفضل الأبوين والتقصير في أداء الحقوق والواجبات تجاه أولى الناس ...

ولنستمع لقوله ﷺ في حق الوالد على ولده مبيناً عظم حق الوالد وعدم بلوغ أداء حقه قال ﷺ : (**لا يجزي ولد والده إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه**)[1]، والمعنى أنه لا يكافئه بإحسانه وقضاء حقه إلا أن يعتقه[2]، لماذا ؟ لأن الأب إذا كان مملوكاً كان أول غرض له في هذه الدنيا وهدفه الأول هو التحرر من وطأة الرق وعبوديته، فإذا وفق الابن

---

[1] رواه مسلم رقم ١٥١٠ .

[2] شرح مسلم للنووي والسيوطي . حديث رقم ١٥١٠ .

لأن يعتق أباه ويسعى في فكاكه يكون قد حقق أمراً لـــيس بالهين بالنسبة لأبيه فاستحق أن يكون جزاءه من جنس عمله وهو بلوغه منزلة عظيمة عند الله أشبه بما يكون وكأنه قـــد جازى أباه وكافأه على ما قدم له في صغره من رعاية وعناية وتربية واهتمام، وقد رفع سبحانه من شأن سعي الولد علـــى عتق أبيه وفكاكه من العبودية وجعله أمراً عظيماً عنده كـــي يجهد الولد كل الجهد لفكاك أبيه بكل ما يستطيع .

ويروى عن بريدة رضي الله تعالى عنه أنه رأى رجلاً في الطواف حاملاً أمه يطوف بها فسأل النبي ﷺ هـــل أديـــت حقها، قال : (**لا ولا زفرة واحدة**)[1].

---

[1] أخرجه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق رقم ٢٣٥ . والبزار رقم ٤٣٨٠ . والمروزي في البر والصلة رقم ٣٧ . وزفرة أي طلقة من طلقات الولادة .

وفي الأثر أيضاً عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه رأى رجلاً يطوف حاملاً أمه وهو يقول : (إني لها بعيرها المذلل إن ذعرت ركابها لا أذعر أحملها وما حملتني أكثر) ثم قال : يا ابن عمر أتراني جزيتها فقال ابن عمر : لا ولا زفرة واحدة "وفي رواية" ولا طلقة من طلقات النفاس .

تذكر وأنت في الصغر ما كانا يقدمانه لك أبواك وبما كانا يحيطانك به من عناية ومحبة واهتمام بالغ، وكل أب وأم يريدان من الله تعالى أن يكون ابنهما وبنتهما خير الأبناء والبنات، والإنسان في هذه الدنيا لا يريد أن يكون هناك أحد من الناس أفضل منه إلا ولده، لما لفرط حبه البالغ له .

تذكر أخي القارئ أن جزاء الوالدين عند الله عظيم، الوالدان الذان كانا سبباً في وجودك، الوالدان الذان كنت في يوم من الأيام سبب سعادتهما لما استقبلاك في هذه الدنيا،

الوالدان الذان كانا يرعيانك صغيراً، الوالدان الـــذان كانـــا يأمّلون الخير فيك كبيراً، الوالدان الذان هما أحق الناس بحسن العشرة والوفاء بالجميل .

تذكر أخي القارئ على أقل تقدير وأقل القليل الجميـــل الذي قدماه لك وأنت في الصغر من عناية واهتمام ورعايـــة، ولو أن أحداً من الناس صنع لك معروفـــاً كيـــف كنـــت ستكافئه، فكافئ والديك بما يستحقانه مقابل السنين التي كانا يرعيانك فيها ويهتمان بشأنك وأنت أحوج ما تكون لرعاية إنسان، فكيف برعاية من قدم راحتك على راحته ومن سهر لتنام ومن تعب لترتاح ومن شقي لتهنأ .

هل يا ترى الجزاء الوفاق لهما هو العقـــوق والعصـــيان والتطاول عليهما ورفع الصوت في حضرتهما والتنقيص مـــن شأنهما والاشمئزاز والخجـــل مـــن تصـــرفاتهما وأفعالهمـــا

والاعتراض على طريقة حياتهما ؟! هل أنت تخاطب صديقك بأسلوب فظ غليظ، وهل سيتقبل منك عند ذلك، تفكر أخي بوعي وتدبر ؟!

تنبه أخي القارئ وانظر لحال الكثير من الناس اليوم الذين يعاملون الأصدقاء والرفقاء والأصحاب بالود والسهولة والسماحة والسرور والابتهاج، في حين أن تعاملهم مع الآباء والأمهات يتسم بالغلظة والجفاء والفظاظة . لماذا يحصل ذلك ؟! والعياذ بالله تعالى من علامات الشقاء في الدنيا وعدم التوفيق، نسأل الله السلامة، واسمع لما قاله ﷺ في مضمون ذلك لما ذكر علامات الساعة آخر الزمان : (... **وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وأدنى صديقه وأقصى أباه ...**)[1].

---

[1] رواه الترمذي رقم ٢٢١١ . والطبراني في الأوسط رقم ٤٦٩ . والحديث بتمامه : (**إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء**»

وهذا وللأسف هو تصرف الكثير من الأبناء اليوم وفي الكثير من الأسر .

تذكر قول رسول الله ﷺ عندما سأله ذلك الصحابي ما حق الوالدين فقال ﷺ : (**هما جنتك ونارك**)[1]، أي أنـــك إن أطعتهما وأحسنت معاشرتهما كانا سبباً في دخولك الجنة وإن عققتهما وعصيتهما كانا سبباً في دخولك النار .

فقيل : وما هن يا رسول الله ؟ قال : «إذا كان المغنم دولاً، والأمانة مغنماً، والزكاة مغرماً، وأطاع الرجل زوجته، وعق أمه، وبر صديقه، وجفا أباه، وارتفعت الأصوات في المساجد، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شره، وشربت الخمور، ولبس الحرير، واتخذت القينات والمعازف، ولعن آخر هذه الأمة أولها، فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء أو خسفاً ومسخاً) .

[1] رواه ابن ماجة رقم ٣٦٦٢ . والمنذري في الترغيب والترهيب رقم ١٤٧٦ .

انظر أخي القارئ كيف أنه ﷺ جعل الوالدين هما السبب الرئيس لمعرفة الإنسان مصيره في الآخرة إما إلى جنة وإما إلى نار .

ومن تفكر في سبب ذلك وجد أن الإنسان إذا فقد شعوره بالإحسان والرحمة والشفقة والمودة تجاه والديه ونزعت من قلبه واستبدلها بالقسوة والفظاظة تجاه أحق الناس بذلك يكون قد استحق النار الجزاء الوفاق لأنه يكون قد فرط في أمر غاية في الأهمية فما بالك بما سواه من الأمور .

وكيف يرجو من كان هذا هو حاله أن يكون له في يوم من الأيام أبناء طائعين له غير عاقين، بالتأكيد أن ذريته سيكونوا من أبناء الشياطين الأشقياء العصاة العاقين له ...

تذكر حديث رسول الله ﷺ عندما سأله ذلك الصحابي فقال من أحق الناس بحسن صحابتي يا رسول الله، فقال ﷺ :

(**أمك**، قال : ثم من، **قال : أمك**، قال : ثم من، **قال : أمك**، قال : ثم من، **قال : أبوك**)[1]، وفي رواية، قال له الصحابي يا رسول الله من أبرّ قال : (**أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك ثم الأقرب فالأقرب**)[2]. نلاحظ من فوائد وأحكام هذا الحديث أن الوالدين هما أحق الناس بحسن المعاشرة والمصاحبة في هذه الدنيا لماذا، لأنهما كانا قد قدما لابنهما حال صغره الكثير وهو أحوج ما يكون لمن يرعاه ويعتني به في صغره، لذا وجب عليه أن يرد ذلك المعروف حال كبرهما وهما أحوج ما يكونا له على الأقل أن يكافئهما على ما قدماه له .

كما نلاحظ هنا الأمر ببر الأم أكثر من الأب، لماذا، لأن الأم قد تفردت عن الأب بعدة أمور، كالحمل وآلامه وهناً

---

[1] متفق عليه، البخاري رقم ٥٩٧١ ، مسلم رقم ٢٥٤٨ .

[2] رواه أبو دأود رقم ٥١٣٩ . والطبراني في الكبير رقم ٩٥٩ .

على وهن وآلام الوضع وهي تعانق الموت وآلام الرضاع وقد سلبت صحتها ثم بالرعاية والاهتمام داخل البيت أكثر من الأب، هذا فضلاً عن العطف والحنان والرعاية والحب الكبير والخوف غير المنقطع للابن حتى في حال الكبر .

أمك التي حملتك في بطنها تسعة أشهر، أمك التي سهرت الليالي الطوال خوفاً عليك، أمك التي تناغيك وتلاعبك وهي في أضعف أوقاتها وحالاتها حال النفاس والرضاع وما بعد ذلك، أمك التي كانت تنتظر يوم ولادتك بفارغ الصبر فرحاً بك، أمك التي رعتك صغيراً حتى كبرت، أمك التي كانت تأمل فيك الكثير عندما تكبر، أمك التي كانت تغسل لك الأذى ولا تتضجر، أمك التي كانت تراك أحسن الأطفال ...

وهل يمكن أن يكافئ ولد والديه على كل ما قدماه له في سن الصغر، بالتأكيد لا، فقل لي أيها القارئ من سيكافئ

الوالدين على محبتهما الغامرة والكبيرة لأبنائهم في الصغر، يا ترى من سيقدر ذلك، تفكر أيها القارئ وقس على نفسك لو كان لديك أطفال وقل لي كيف ستعاملهم، وما مدى محبتك لهم يا ترى، وتذكر حال والديك آنذاك وأنت في سن الصغر وسن براءة الطفولة ...

هل يُعقل أن يكون جزاءهما على ما قدماه هو الجفاء والغلظة في التعامل، هل تقابل الإحسان بالإساءة، تفكر وقل لي كيف تريد من أبناءك أن يعاملوك مستقبلاً ...

لننظر لقوله ﷺ عندما سئل عن أي الأعمال أفضل فقال ﷺ : (**أفضل الأعمال أو العمل الصلاة على وقتها، ثم بر الوالدين ...**)[1]. لنتساءل لماذا كان أفضل الأعمال وأولاها هي طاعة الوالدين وبرهما بعد أداء حق الله تعالى من الصلاة

[1] متفق عليه، البخاري رقم ٥٩٧٠ ، مسلم رقم ٨٥ .

المفروضة ؟! بيّن لنا رسول الله ﷺ أن أعظم الأعمال بعد حق الله تعالى هو بر الوالدين لأن من ضيّع الحقوق والواجبات التي عليه لوالديه وهما أقرب الناس إليه، فهو ودون شك لما سواها أضيع وسيضيع بقية الحقوق والواجبات تجاه الآخرين من باب أولى بالتأكيد .

وإذا كثر أمثال هذا العاق في المجتمع، وكان هذا هو حال المجتمع بشكل عام، فالمجتمع ولا شك يكون قد وصل إلى طريق الهلاك والشقاق والفرقة والعياذ بالله تعالى، لأن أهم العلاقات التي في الدنيا وأقواها هي علاقة الأب بولده فإذا ضاعت تلك العلاقة الوطيدة ضاع ما سوها من العلاقات ودون شك .

وتذكر أيها القارئ كذلك قولهﷺ لما جاءه رجل يستأذنه في الجهاد فقال ﷺ : (**أحي والداك قال نعم، قال**

ففيهما فجاهد)[1]، وفي رواية قال الصحابي لما سُئل : (نعم وتركتهما يبكيان) فقال ﷺ : (**ارجع إليهما وأضحكهما كما أبكيتهما**) . وكذا حديث الصحابي الذي جاء للنبي ﷺ فقال له : يا رسول الله أردت الغزو وجئتك أستشيرك فقال ﷺ : (**هل لك من أم قال : نعم فقال : إلزمها فإن الجنة عند رجليها**، ثم الثانية ثم الثالثة، أعادها عليه ﷺ ثلاث مرات للتأكيد)[2]، أوضح هذا الحديث درجة بر الوالدين وأنها مقدمة حتى على الجهاد في سبيل الله والذي يعد أعلى الأعمال الصالحة وأرفعها بل وذروة سنام الإسلام، ولنتساءل ما الدافع لجعل بر الوالدين مقدم على الجهاد في سبيل الله تعالى .

---

[1] متفق عليه، البخاري رقم ٣٠٠٤ ، مسلم رقم ٢٥٤٩ .

[2] رواه النسائي في الكبرى رقم ٤٢٩٧ . وأحمد رقم ١٥١١٠ . والحاكم رقم ٢٥٠٢ .

بيّن رسول الله ﷺ أن بر الوالدين مما توجب على الفرد القيام به قبل أي عمل كان، وهو يعد من أهم وأوجب الأعمال الصالحة على كل إنسان، في حين أن الجهاد سنة وليس بواجب .

ثم بين ﷺ أن طاعة العبد لوالديه وبره بهما ومحاولة كسب رضاهما والسعي على راحتهما يعد من الجهاد، وأن ذلك يعتبر جهادين، فهو جهاد في واجب وجهاد في سنة، جهاد في واجب أداء الحقوق والواجبات التي لهما من طاعة وبر وكسب رضاهما، وجهاد في سنة وهو أن الأولى عدم تركهما وحيدين دونما أحد يرعاهما .

فهو جهاد في سبيل الله تعالى بما هو واجب عليه تجاههما، ومقدم في نفس الوقت على الجهاد في سبيل الله تعالى والذي يعد سنة (فرض كفاية) .

وتذكر أيضاً أيها القارئ قوله ﷺ لما سأله رجل فقال يا رسول الله : أخبرني بعمل يدخلني الجنة فقال ﷺ : **(هل من والديك من أحد حي، قال له : مرات قال : لا، قال : فاسق الماء ...)**[1].

لننظر كيف أنه ﷺ سأله أول ما يكون عن والديه أحي أحدهما، لماذا، لأن الوالدين أولى الناس بالبر وفعل الخير، وإذا كان قديماً قد قيل (الأقربون أولى بالمعروف) فالوالدان أقرب الأقربين وأولى الناس بالخير والبر والمساعدة والبذل لهما

---

[1] رواه أحمد رقم ٢٣١٢٤ . والطبراني في الكبير رقم ١٠١٤ . والبيهقي في شعب الإيمان رقم ٣١٠٣ . والحديث بتمامه : (**أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة، قال : هل من والديك من أحد حي ؟ قال له مرات : قال : لا، قال : فاسق الماء، قال : كيف أسقيه ؟ قال : اكفهم آلته إذا حضروه، واحمله إليهم إذا غابوا عنه**) .

وتقديم راحتهما، ثم لننظر لجوابه ﷺ عن السؤال وكيف أنه جعل بر الوالدين من أولى الأعمال التي تدخل العبد الجنة .

ليس ذلك فحسب، فليس الأمر مجرد إحسان من الولد على والديه بل حقيقة الأمر أنه واجب عليه تجاههما لما قدماه له مسبقاً في صغره وأرخصا له كل غالٍ ونفيس .....

ثم أن الأمر في الأصل مردود للولد مستقبلاً من قِبل أبناءه، لأن حق الوالدين يجازى به العبد في الدنيا قبل الآخرة، فيقضي الله عليه ما كان قد قدمه لوالديه سابقاً إن براً كان أو عقوقاً، فهو مجازاً بمثله في الدنيا ثم في الآخرة .

تذكر أخي القارئ حديث رسول الله ﷺ عندما قال : **(من سره أن يمد له في عمره ويزاد له في رزقه فليبر والديه وليصل رحمه)**[1] .

---

[1] رواه أحمد رقم ١٣٣٩٩. والمنذري في الترغيب والترهيب رقم ٢٤٨٨.

وتذكر قوله ﷺ أيضاً : (**من بر والديه طوبى له زاد الله في عمره**)[1].

أنظر أخي المسلم عاقبة من بر والديه والجزاء الحسن في الدنيا من مد في عمره وسعة في رزقه والبركة في كل أموره وحلول رضا الله تعالى به، وما ذلك إلا لأنه بر بوالديه وأرضاهما فرضي الله تعالى عنه ومد في عمره وبارك في رزقه، ومن منا أيها الاخوة لا يحب العيش الهانيء والبركة في العمر والسعة في الرزق، بالتأكيد كلنا يحب ذلك، فهل كلنا سعى لتحقيق ذلك بطاعته لوالديه ومحاولة كسب برهما وودهما ورضاهما يا ترى ...

تذكر أخي القارئ قوله ﷺ لما جاءه الصحابي فقال يا رسول الله إن أبوي قد هلكا فهل بقي من برهما شيء

[1] رواه البخاري في الأدب المفرد رقم ٢٢ . والحاكم رقم ٧٢٥٧ .

أصلهما به بعد موتهما، قال ﷺ : (**نعم أربعة أشياء، الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما من بعد موتهما، وإكرام صديقهما، وصلة رحمهما التي لا رحم لك إلا من قبلهما،** "فقال : ما أكثر هذا وأطيبه يا رسول الله" **قال : فاعمل به فإنه يصل إليهما**)[1].

أنظر أخي القارئ لقوله ﷺ في الوصايا التي علمها الصحابي الذي مات أبواه وجاء يطلب برهما بعد الممات، وما في تلك الوصايا من قيم ومُثُل عليا رفيعة المستوى . فذكر أولها الاستغفار للوالدين بعد موتهما وما فيه من فوائد جمة للميت ولا سيما وأنه مرتهن في قبره، كيف وقد عد ﷺ

[1] رواه أبو داود رقم ٥١٤٢ . وابن ماجة رقم ٣٦٦٤ . وأحمد رقم ١٦٠٥٩ . والبخاري في الأدب المفرد رقم ٣٥ . وابن حبان واللفظ له رقم ٤١٨ .

الاستغفار والدعاء للوالدين من الصدقة الجارية لما قال : **(وولد صالح يدعو له)**[1]. ثم ذكر ﷺ إنفاذ عهدهما وإكرام صديقهما وصلة رحمهما، ولنتفكر لو أن أحداً من الناس قابل ابن صديقه الميت فبر الابن بصديق أبيه وأظهر له كل ود واحترام وتقدير أو أنفذ عهد أبيه من بعده أو أكرم أحد أصدقاء أبيه، سيتذكر عندها ذلك الرجل صديقه الميت، وسيشكر للابن حسن فعله فيترحم عند ذلك على والده ويدعو له بالرحمة والغفران، فكان كل ذلك من البر، والحمد لله الذي جعل لنا وسائل بر بوالدينا بعد الممات ...

وتذكر أيضاً أخي القارئ قول رسول الله ﷺ : **(إن أبرّ البر صلة الرجل أهل ود أبيه)**[2].

---

[1] رواه الترمذي رقم ١٣٧٦، والنسائي رقم ٣٦٥١ .

[2] رواه أبو داود رقم ٥١٤٣ ، الترمذي رقم ١٩٠٣ .

انظر أخي المسلم كيف أن مودة أصدقاء الأبوين بعد موتهما تعد من أبر البر، لماذا، لأن الإنسان إنما دفعه لذلك الفعل شدة حرصه على بر والديه، فلو كانا أحياء لبر بهما ولكن لا سبيل لذلك بعد الموت إلا المودة والصلة بالحسنى لأصدقائهما، والتي تذكر الأصدقاء بالميت فيترحمون عليه دوماً، فكان ذلك فعلاً من أبر البر لتعرض الميت لدعاء الأحياء دوماً ...

أنظر أخي القارئ لقوله ﷺ لما ذكر النفقة وأهل وجوبها قال ﷺ : (**اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول**)[1]. وفي رواية لأحمد : (**وليبدأ أحدكم بمن يعول**)[2].

---

[1] متفق عليه ، البخاري ١٤٢٧-١٤٢٨رقم واللفظ له ، مسلم رقم ١٠٣٤ .

[2] رواه أحمد رقم ١٥١٥٠ . والطبراني في الكبير ٣٠٩١ . والبيهقي في الكبرى رقم ٧٧٥٢ . والرواية بتمامها : (**اليد العليا خير من اليد**

وقال أيضاً ﷺ : **(يد المعطي العليا، وابدأ بمن تعول أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك)**[1].

ويستفاد من الحديث وجوب النفقة على الوالدين إذا كانا محتاجين لولدهما، بل وعدهما ﷺ أول الناس وأوجبهما على الولد حال النفقة، ولا سيما إذا كان يعولهما، ولاحظ أخي القارئ أن النفقة على الوالدين هي واجبة على الولد مع قدرته على ذلك، ومع ذلك فهي تعد صدقة وصلة وبر وطاعة للوالدين ورضا لله تعالى ...

السفلى، وليبدأ أحدكم بمن يعول، وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، ومن يستغن يغنه الله، ومن يستعفف يعفه الله، فقلت : ومنك يا رسول الله ؟ قال : ومني، قال حكيم : قلت : لا تكون يدي تحت يد رجل من العرب أبداً) .

[1] رواه النسائي رقم ٢٠٣٢ واللفظ له ، وأحمد رقم ١٦١٧٧ .

حقوق الوالدين على الولد :

أعلم أخي القارئ أن حقوق الوالدين تعد من أكثر الحقوق التي على الفرد، وهي من حيث الحصر كثيرة، لماذا، لأن الفرد تربطه بوالديه عدة روابط، هي :

(رابطة الأبوة والأمومة، ورابطة القرابة فهما أقرب الأقربين، ورابطة الدم، ورابطة اللغة، ورابطة الدين، ورابطة النسب، ورابطة الفرع أو الانتماء "كونه ابنهما"، ورابطة العلاقات الشخصية والعامة ككل، ورابطة الأولوية "وهي كون الأبوين أولى الناس بكل معروف وخير وبر"، وروابط الحب والحنان والعطف والرعاية والإحسان والمودة والشفقة والرحمة) .

ولذلك فليس على وجه الأرض مخلوق له حقوق أكثر من الأبوين على ولدهما، وهذه الحقوق هي في حقيقة الأمر

أن مبناها على (القضاء والوفاء والأخذ والرد) أي أنها "سلف ودين" فمن قام بها تجاه والديه على أتم وجه قام بها أبناؤه مستقبلاً تجاهه على أتم وجه، والعكس بالعكس، ومن جملة أهم تلك الحقوق :

١- طاعة الوالدين وبرهما وكسب رضاهما وحسن صحبتهما ومعاشرتهما بالحسنى وتقديم راحتهما على راحتك .

٢- تحملهما ولا سيما في حالة الكبر والضعف، أو في حالات الخطأ والغضب، أو الحاجة لك .

٣- الشفقة على الوالدين والرحمة والإحسان إليهما والرفق واللين بهما في جميع الأحوال والبعد عن معاملتهما بالعنف والتسخّط .

٤- البعد عن كل ما يكدر صفوهما من زجر ونهر وتأفف وتبرم وتنقيص وإظهار الضجر من تصرفاتهما ...

٥- السعي على مصالحهما وتقديمها على المصالح الشخصية أو الأسرية الخاصة بالولد .

٦- النفقة على الوالدين حال الحاجة لولدهما ولا سيما في حالتي الكبر والضعف مع قدرة الولد على ذلك .

٧- وجوب الاستئذان منهما ولا سيما حال البعد عنهما كالسفر، وإذا كان ﷺ قد أمر بوجوب استئذان الوالدين للجهاد فكيف بما سواه من الأمور، ولا سيما إذا كان أمراً من أمور الدنيا وليس الآخرة .

٨- السعي الحثيث على تعليمهما أمور الدين والنصح لهما والتوجيه الحسن، ولا سيما إذا كانا جاهلين أو إذا رآهما على خطأ أو منكر أو شر أو على بدعة أو على جهالة ...

٩- محاولة التغيير من طباعهما غير السوية بالحسنى وباستعمال الرفق واللين في ذلك ليكون العمل مثمراً فيجني

التغيير إلى الأحسن، وفي نفس الوقت الحذر من استعمال الشدة والعنف معهما في مثل هذه الأمور والتي قد توقع الابن في منكر أو شر أو ضرر أكبر من الحاصل منهما .

١٠- عدم موافقتهما وتأييدهما على المنكر والخطأ وما كان في معصية الله تعالى ومعصية رسوله ﷺ، ومحاولة النصح والتوجيه لهما وإيضاح الصحيح من الخاطئ بالرفق واللين والأسلوب الحسن الذي به يقتنعا ويقلعا عن الخطأ أو المنكر .

١١- عدم التفاخر والتشوف عليهما أو احتقار شأنهما أو الخجل منهما ومن تصرفاتهما أو من وضعهما وحالهما وتحسيسهم أنهم دون المستوى المطلوب أو أنهم ليسوا ذوي مفهومية وأنه يفهم أكثر منهم أو التنقيص من قدرهما ولا سيما إذا كانا غير متعلمين أو ذوي وضع علمي أو مالي أو اجتماعي دون الابن، وهل وصلت إلى ما وصلت إليه أيها

الابن إلا بفضل الله تعالى أولاً ثم بفضل والديك وجهودهما وجودهما عليك، فتذكر وتفكر ولا تجحد ولا تبطر على النعمة والإحسان .

١٢- الصبر عليهما في جميع الأحوال، واستحضار أن هذا التعامل سواءً كان حسناً أم قبيحاً مردود عليك من قِبل أولادك مستقبلاً، فقدم ما أردت أن يعاملك به أبناؤك مستقبلاً، ولا سيما حال كبرك، وبالتالي فأنت أيها الابن الذي تزرع وأنت الذي تحصد، فإن زرعت براً حصدته وإن زرعت عقوقاً جنيته بيديك ...

١٣- الحرص للتعرض لدعاء الوالدين ببرهما والسعي الحثيث لنوال رضاهما كتقبيل يديهما وكثرة السؤال عنهما وتفقد أحوالهما دوماً، ولا سيما إذا كان الابن رب أسرة وليس بمصاحب لوالديه في البيت .

١٤- تذكر بني قوله ﷺ : (**ما من رجل بار ينظر إلى والديه أو والدته نظرة رحمة إلا كتب الله تلك النظرة حجة متقلبة مبرورة** قالوا : يا رسول الله وإن نظر في اليوم مائة مرة قال : **الله أكبر من ذلك**)[١].

حقوق الولد على والديه :

أعلم أخي القارئ أن الأصل في (تشريع)[٢] الحقوق مبناه على البدل والمقاضاة، فكما أن هناك حقوقاً للوالدين على الولد، هناك حقوق للولد على والديه، وهذه الحقوق التي هي للولد على والديه هي في نفس الوقت التي تهيئ الولد لأن

---

[١] ذكره ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق رقم ٢١٥ .

[٢] شرع سبحانه وتعالى الحقوق وجعلها بين الناس سواء، أي حقوق للفرد وحقوق عليه .

يكون باراً بوالديه مستقبلاً، وهي تعتبر في حد ذاتها وفي حقيقة الأمر من أساليب التربية الصحيحة الذي وجب على الكل من الآباء أن يهتموا بها لما لها من ثمرات جنية آنية ومستقبلية تعود على الجميع ولا سيما الأبناء، ومنها :

١- حسن اختيار الأم، الزوجة الصالحة والتي تعين الرجل على أمور دينه ودنياه وعلى تربية الأبناء مستقبلاً ورعايتهم .

٢- تأديب الزوجة قبل كل شيء والتي بتأديبها يتهيأ في الأسرة المربية الفاضلة والأم العطوف القادرة على إنتاج أبناء صالحين .

٣- رعاية الولد منذ الصغر وتربيته على المكارم والفضائل والآداب والأخلاق الخيرة والفعال الحسنة .

٤- تعليم الولد احترام الجميع وتوقيرهم ولا سيما الكبير ذي الشيبة .

٥- تعليم الولد أمور دينه منذ الصغر وزرع حبه وحب العبادة في نفسه منذ نعومه أظفاره حتى يتربى على ذلك، وينشأ وفي نفسه تعظيم الدين وتقديسه وحب العبادة وأمور الشريعة .

٦- تجنيب الولد منكرات الأخلاق والأفعال وإبعاده عن كل مواطن الفساد واللهو الباطل والعبث المشين، حتى لا يعتاد ذلك .

٧- تقويم الولد بعد بلوغه الحلم (سن المراهقة) لكل سلوكياته بطريقة سليمة ومناسبة له، حتى يبني شخصيته سليمة مستقيمة .

٨- إبعاده في جميع المراحل عن الخلافات الزوجية إن وجدت حتى لا يتولد لديه اهتزاز في الشخصية وضعف وتردد مستقبلاً .

٩- مآخاة الولد إذا كبر وتعدى سن المراهقة والتعامل معه على أنه رجل يستطيع أن يعتمد على نفسه ويشق طريقة بيديه كيفما شاء وأنه هو المسئول الأول (وليس الوحيد) عن كل تصرفاته، وقديماً قيل (إذا كبر ابنك خاويه) .

١٠- النفقة على الولد منذ الصغر وحتى يكبر ويستغني عن والديه ويكفي نفسه بنفسه .

١١- إذا كبر الابن وأصبح رجلاً مسئولاً ولا سيما عن أسرة آن للأبوين أن يحترماه بشكل أكبر وملحوظ وأن يقدرا وضعه كرجل حر له مطلق الحرية والتصرف، ولكن وفي نفس الوقت هذا لا يعطيه أحقية التطاول على والديه والنفور منهما والاشمئزاز من تصرفاتهما، ولا سيما إذا كان الأبوان دون المستوى المالي أو العلمي أو الوضع الاجتماعي بشكل عام الذي يعيش فيه الوالد، والذي يعتبره فارق بينهما فيستعر

من أبويه وربما يخجل من الناس ولا يريدهم أن يتعرفوا على أبويه، فليتق الله الولد وليعلم أن كل تعامل لأبويه مردود عليه من قِبل أبناءه عند الكبر، وليعلم الولد أن الفضل كله لله تعالى أولاً وآخراً ثم لوالديه من بعد الله تعالى وإلا لما وصل إلى ما وصل إليه أبدا .

من ثمرات البر والطاعة :

أعلم أخي القارئ أن لأي عمل في هذه الدنيا ثمـــرات وعواقب، وبما أن بر الوالدين يعد أفضل الأعمال عنـــد الله تعالى بعد عبادته سبحانه وأداء حقه "الصلاة"، فذلك العمل ولا شك له أفضل الثمرات في الدنيا والآخرة، وما ذلـــك إلا لعلو شأنه عند الله تعالى، ومن تلك الثمرات :

١- حلول رضى الله تعالى بالولد، وأي منا لا يهمه ذلك، وقد مر بنا في هذا الكتيب جملة من الأحاديث كلهـــا تبـــيّن

ذلك، وتبيّن عاقبة البر وعاقبة العقوق وحسبك هنا للتذكرة قوله ﷺ : (**رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنف،** "قيل : من يا رسول الله قال : "**من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة**)[1]. لاحظ أيها القارئ قوله ﷺ "من أدرك والديه... فلم يدخل الجنة" فإذا كان بـــر الولـــدين لم يدخلا العبد الجنة سواءً كليهما أو أحدهما فأي عمل أرجى عند الله تعالى منه، أوضح ﷺ في هذا الحديث أن الأبوين هما السبب في دخول العبد الجنة بالطاعة والبر لهما، وما كـــان ذلك ليكون إلا لعظم شأن ذلك عند الله سبحانه وتعالى .

ثم لاحظ أخي القارئ قوله ﷺ "عند الكبر" لأن الوالدين حال الكبر يكونا أحوج ما يكونا لولدهما ولبره وعنايته بهما وهما شيخان كبيران ضعيفان محتاجان لولدهما .

---

[1] رواه مسلم رقم ٢٥٥١ .

٢- قبول العمل، واسمع أخي القارئ لما قاله تعالى في حق الطائعين البررة : ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾** ﴾[الأحقاف] .

٣- السعة في الرزق، وهذا أمر مشاهد وملحوظ دوماً في الحياة اليومية، وقد قال ﷺ في ذلك : (**من سره أن يمد له في عمره ويزاد له في رزقه فليبر والديه وليصل رحمه**) . وقوله ﷺ : (**من بر والديه طوبى له زاد الله في عمره**)[1].

٤- التوفيق في حياته، وأي منا لا يعلم ذلك، وقد اشتهرت بين الناس مقولة (هذا رضي والدين) وهذا (أمه داعية له) لمن كان حظه من الدنيا التوفيق والسداد والرشاد والرضا والمحبة والقبول .

---

[1] سبق تخريجهما ص٢٦-٢٧ .

٥- إجابة الدعوة، لأن بر الوالدين هو الذي يفتح بـــاب السماء، فهل أنت يا أخي ممن يحرص ويطلب من والديه أن يدعوان له دوماً ولا سيما كلما حزبك أمر، وإذا كنت قـــد طلبت من بعض الناس أن يدعو لك وأوصيتهم بذلك لتحقيق أمر ما، فهل يا ترى هم حريصون عليك أكثر من والديك، وهل سيستجاب لهم فيك كما سيستجاب لوالديك فيك إذا أرضيتهما وأرضيت الله تعـــالى برضـــاهما، وســـارعت إلى إسعادهما .

وتذكر أخي القارئ قصة النفر الثلاثة الذين كـــانوا في سفر فاضطرهم السيل إلى كهف فانطبقت علـــيهم صـــخرة سدت فم الغار فلجأ الثلاثة إلى الله تعالى بأعمالهم الصـــالحة حتى قال أحدهم : (**اللهم إنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً ... فلبثت والقـــدح**

على يدي انتظر استيقاظهما ...)[1]. وأغبق أي : أقدم عليهما أحد .

٦- رزقه بأبناء طائعين، لأن هذا الأمر قضاء ووفاء، فمن بر بوالديه رُزق بأولاد بررة، ومن عق والديه رُزق بأولاد عاقين وعصاة، والله المستعان .

٧- السعادة في الدارين، سعادة الدنيا بالبركات والتوفيق في كل أمورك، والسداد والرشاد والسرور الدائم وكسب محبة الناس وسعة الرزق وانشراح الصدر ووضاءة الوجه، وسعادة الآخرة بالفوز بالجنة والنعيم المقيم والنجاة من النار وعذاب الجحيم .

فهل بعد تلك الثمرات والعاقبة الحميدة الحسنة والنجاح، فوز ونجاح ...

---

[1] متفق عليه، البخاري رقم ٥٩٧٤، مسلم رقم ٢٧٤٣ .

٨- تذكر بني قوله ﷺ : (**إذا نظر الوالد إلى ولده فسره كان للولد عتق نسمة** قيل : يا رسول الله فإن نظر ثلاث مائة وستين نظرة قال : **الله أكثر**)[١].

أسباب العصيان :

لنا هنا وقفة هامة أيها الاخوة، وهي لنبحث في حقيقة وأسباب العقوق والعصيان الذي وقع فيه الكثير من الأبناء في هذا الزمن، ولننظر من المتسبب الرئيس والمسئول الأول في الموضوع وما الذي يحمل الأبناء على عقوق الآباء في الكثير من الأحيان وفي الكثير من المجتمعات ؟!

١- لو نظرنا بعين البصيرة لا البصر لوجدنا وللأسف أن المتسبب الأول في مسألة العقوق في بعض الأحيان هما

[١] رواه الطبراني في الكبير رقم ١١٦٠٨ . والبيهقي في شعب الإيمان رقم ٧٤٧٣ . وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق رقم ٢١٦ .

الوالدان أنفسهما، لماذا لأنهما أهملا تربية الأبناء يوماً من الأيام فكان نتيجة الحصاد كأسوأ ما يكون وما ذاك إلا نتيجة للتفريط في أيام الزرع .

وإذا كان الوالدان يريدان أن يكون ابنهما أفضل الأبناء وأحسن الأولاد، فلماذا لا يهتمون به ويعتنون بتربيته في الصغر على الخلق الحسن والخصال الحميدة ؟!

لاحظ أيها القارئ أن الكثير من الناس في هذا الزمن أهمل هذا الجانب وتغافل عنه وتشاغل بسواه في الأيام الذي كان الولد أحوج ما يكون لوالديه ولرعايتهما واهتمامهما، كانا عنه متغافلين ومتشاغلين، وللأسف .

٢- أضف إلى ذلك مسألة قلة الدين والتي تحمل الكثير من الآباء مسبقاً على عدم الاهتمام بولدهما إطلاقاً من هذا الجانب .

فينشأ الولد ودينه ضعيف ونفسه سقيمة وعقله هزيل وكل أهدافه في الحياة مجرد بغيات آنية وآمال مؤقتة لا يكنّ في نفسه تعظيم الدين وتقديسه وتوقير الوالدين وطاعتهما، بل على العكس من ذلك تماماً ... وإذا كان ولد كهذا هو نتاج أسرة مفككة فكيف يا ترى سيصلح من شأنه وحاله، في حين أن أبويه بحاجة للإصلاح بالدرجة الأولى .

لننظر أيها القارئ ولنتفكر ما السبب الذي جعل الكثير من الأبناء من هذا النوع يقع في العقوق والعصيان، هل يا ترى هم يقعون فيه من غير سبب يذكر، أم أن الأبوين هما الذان دفعا ابنهما للعقوق من غير قصد، لأنهما فرّطاً يوماً في تربيته حال الصغر فكانت نتيجة ذلك التفريط أنه عاملهم بالمثل ففرط في العناية بهما حال الكبر وقل احترامه لهما، وكلاهما مفرط في أمور دينه وعبادته .

ولكن لنتنبه لأمر في غاية الأهمية وهو : أنه ليس من حق الولد محاسبة أبيه على ما فرط تجاهه في الصغر فيعتقد أن معاملته بالعقوق والعصيان هي من الجزاء الوفاق، كلا، فالولد في جميع أحواله لم يكلف يوماً ليكون حكماً على والديه وليس هو بمكلف لأن يكون رقيباً عليهما ولا يحق له أن يتعامل معهما بالعصيان والعقوق، لأن ذلك سينعكس عليه مستقبلاً وسيحصد العقوق من أبناءه، أما جانب تفريط الأب فسيحاسبه الله عليه، قال ﷺ : (**كل الذنوب يؤخر الله ما شاء منها إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإن الله تعالى يعجله لصاحبه في الحياة قبل الممات**)[1].

فهل أنت أيها الابن تريد أن تحاسب أباك عما قصر في حياته ولا سيما في جانب التربية والرعاية بك، اعلم عندها

[1] رواه الحاكم رقم ٧٢٦٣ . والبيهقي في شعب الإيمان رقم ٧٥٠٥ .

أنك ستبتلى بولد عاق وسيحاسبك كما حاسبت أباك، وأي منا يريد أن يبتلى بولد عاق فيحاسبه ويراجعه عما مضى وكأنه مكلف بذلك وموكل به، في حين هو فرط بما قد أمر به وقصر فيه أيما تقصير ...

٣- الاختلاف بين الولد ووالده على عرض من الدنيا أياً كان، من مال أو عقار أو أملاك أو خلافه، فينشأ بين الولد وأبيه نزاع ما يلبث أن يتحول إلى عدم احترام بينهما، ولا سيما من الولد لأن الاحترام منه آكد في حق أبيه .

لنتذكر هنا كلام رسول الله ﷺ لما جاءه رجل فقال يا رسول الله إن أبي اجتاح مالي فقال ﷺ : (**أنت ومالك لأبيك، وقال : إن أولادكم من أطيب كسبكم فكلوا من أموالهم**)[1].

---

[1] رواه ابن ماجة رقم ٢٢٩٢ ، وأحمد رقم ٦٦٤٠ .

انظر أخي القارئ وتدبر ما قالهﷺ في ذلك، وتعال معي وتفكر في هذا المثل البسيط، وهو أن الرجل العاقل الرشيد إذا تزوج اعتبر زوجته تلك ملكاً له لا يشاركه فيها أحد، وما بينه وبينها سوى كلمة الله رباط الزوجية، وكلمة واحدة تفرق بينهما أبدآ (كلمة الطلاق) فكيف بمن كان السبب في وجودك على وجه الأرض ثم كبرك وعلمك ورعاك وحفظك من كل سوء ومكروه وصرف عليك كل غال ونفيس وسهر لمرضك وقدم راحتك على راحته ومطلبك على مطلبه حتى إذا ما تمت رجولتك قلت له مالي مالي، تبخل عليه بعرض من الدنيا زائل لتكسب به رضاه فيتحول الرضا إلى سخط والمحبة إلى كره وصار يذمك ويتمنى موتك ويتحسر على كل ما قدم من أجلك، وكل ذلك من أجل عرض بسيط وزائل لا يستحق منك أن تغضب من أجله والديك وبالتالي تغضب

رب العالمين سبحانه وبحمده، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم حقاً .

٤-الخلافات التي بين أحد الأبوين وابنه في أمر من الأمور (أمور الدين أو الدنيا) والتي قد يكون الخطأ فيها من أحدهما، فنجد الولد لا يقدّر أبيه ولا يصدر عن رأيه ويعتبر كل تصرفات أبيه تدخلاً في حياته والتي تخصه هو فقط، وأن أباه يتدخل فيما لا يعنيه .

وقد يكون الخطأ من الاب والذي يريد من ابنه أن يمشي خلفه في كل شيء ويريد أن يلغي شخصية ابنه الذي كبر وأصبح رجلاُ وربما رب أسرة وبالتالي يتدخل في كل شئونه بسبب وبدونه .

ولكن أيها القارئ تفكر معي قليلاً ترى أن معظم من ابتلي بمثل هذا الوضع، إن كان من جهة الأب فهو غالباً يريد

مصلحة ابنه ولكن لربما أخطأ التقدير فأوقعه في الضرر وهو يريد منفعته، وقد يكون الأب رجلاً غير متعلم ومن باب حبه لولده يقع في العنت لذا وجب الصبر عليه، وقد يكون الأب رجلاً غير سوي مما يرغم الابن أحياناً على الخروج عن طوعه وبالتالي وقوعه في العقوق والعصيان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

أما إن كان الخطأ من جهة الابن وهذا قد يحصل كثيراً، فلربما استعرّ الكثر من آبائهم ولا سيما إذا كان له وضع اجتماعي غير الذي كان يعيشه أبوه، ولربما فضل الابن زوجته وأبناءه على والديه وقدم مصلحته ومصلحة زوجته وأبنائه على مصالح أبويه، ولربما كان الابن قليل دين لا يخاف الله تعالى، وقد يكون الابن محقاً في بعض الأحيان ويكون الخطأ من الأب خطأ واضحاً .

٥- تدخل الأبوين أو أحدهما في حياة الولد بشكل غير صحيح، أو بشكل صحيح ولكنه غير مقبول من الابن، أو كون الابن ولداً غير سوي الخلق أو قليل دين والعياذ بالله تعالى، وهذا الأمر قد يولد الكثير من المشاكل بين الأب وابنه . ولكن والذي يهم في الموضوع أيها القارئ أن الكثير من الناس وللأسف لا يريد من أبويه أو أحدهما على حد زعمه أن يتدخل في شئون حياته وتصرفاته، ويعتبر ذلك من الصفات الذميمة، ولا يسمح لأبويه أن يشاركاه الرأي أو المشورة ولا يقبل منهما ذلك بل ويقلل من أي مشاركة لهما أو لا يعبأ بما قالا له ...

في حين تجد أن هذا الابن يطلع الآخرين من أصدقاء ورفقاء على كل شيء في حياته ويتعامل معهم بسهولة ويسر ويسمح لهم بحق المشاركة له وبإبداء الرأي والمشورة، ونسي

قول النبي ﷺ في حق الأب : (**الوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه**)[1]، ونسي قوله ﷺ : (**رضاء الله في رضاء الوالد وسخط الله في سخط الوالد**)[2]، ونسي قوله ﷺ في حق الأم : (**الجنة تحت أقدام الأمهات**)[3] والله المستعان .

لماذا كل هذا الجفاء من بعض الأبناء في حق آبائهم وأمهاتهم، ولماذا الكثير من الأبناء يظهر البشاشة والسرور لكل الناس ويحرم والداه من ذلك وهما أحق الناس به، ولماذا

---

[1] رواه الترمذي رقم ١٩٠٠وللفظ له، وابن ماجة رقم ٣٦٦٣ . وأحمد ٢٦٩٨٠ .

[2] رواه الترمذي ١٨٩٩ . وابن حبان واللفظ له رقم ٤٢٩ . والبغوي في شرح السنة رقم ٣٤٢٤ .

[3] أخرجه القضاعي في مسند الشهاب رقم ١١٩ . والدولابي في الكنى والأسماء رقم ١٩١١ .

الكثير من الأبناء يعتبر خوف أبيه عليه والسعي على مصلحته والعمل من أجله تدخلاً في حياته، ولماذا الكثير من الأبنـــاء يريد من أبيه أن يسمع منه وينصت له وهو لا يريد أن ينصت لأبيه أو يسمع منه، ولماذا الكثير من الأبناء يتمرد على أبيـــه بغير سبب يذكر ويتبرم من تعامله له، ولماذا الكثير من الأبناء لا يؤدي حقوق وواجبات والديه عليه من طاعـــة ورضـــا ويعرض نفسه للعقوق والعصيان ومن ثم لســـخط الله عليـــه وحلول غضبه ؟!

لذا فاختر لنفسك أيها الولد، اختر طريقـــك في الـــدنيا واختر مصيرك في الآخرة ببر والديك أو عقوقهما، وتـــذكر أن (أن رضا الله في رضا الوالدين) .

٦- ضعف شخصية الابن أو قلة تمسكه بدينه أو ضـــآلة مفهوميته وسياسته في تدبير الأمور وما ينتج عنه من ســـوء

تعامل الولد مع أهله ولا سيما نشوء خلافات أسرية بين زوجته وبين أحد أبويه مما يحمله أحياناً كثيرة على أن يفضل زوجته وأبناءه على والديه فيضيع بذلك حقوق أحد الطرفين على حساب الآخر، ونلاحظ أن هذا الأمر وللأسف قد حصل في الكثير من الأسر اليوم وتفشى بشكل كبير، وما ذلك إلا لقلة الدين وغياب الوعي وقصر النظر وسوء التدبير والعياذ بالله تعالى، وإذا كان هذا هو حال الكثير من الأسر فبشرهم بالعقوق العاجل والعصيان الحاصل في الحياة قبل الممات، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ولنا هنا وقفة هامة وهي ينبغي للابن الحزم التام في بيته دوماً وألا يجعل هناك فرصة متاحة أو فجوة قد يتولد منها خلاف أسري، وبالتالي يجعل رضا والديه في كفة ورضا زوجته في كفة أخرى، فهل يا ترى الولد البار سيرجح كفة

والديه على حساب زوجته والتي قد تكـــون علـــى حـــق وصواب، أم أنه سيرجح كفة زوجته على حســـاب رضـــا الوالدين والذان قد يكونا على باطل .

الأمر هنا مرتكز على صاحب الخطأ، وعليه فـــلا يحـــق للابن أن يرضي والديه ويغضب زوجته إن كانت على صح لأن ذلك يعتبر ظلماً وأثماً ومعصية لله تعـــالى : **(ولا طاعـــة لمخلوق في معصية الخالق)** .

حتى وإن كان أمراً من الوالدين، ولكن على الابـــن في مثل هذه الظروف محاولة التأثير على موقف والديه بالحســـنى ليغيرا موقفهما تجاه زوجته البارة بزوجها وبوالديه، وليستعن بالله على ذلك .

وفي نفس الوقت لا يحق للابن أن يعق والديه ليرضـــي زوجته إن كانت على خطأ بل عليه أن يتقي الله تعـــالى في

والديه وأن ينصفهما من زوجته إذا كانت ظالمة ولو تطلب الأمر ووصل إلى طلاقهما والزواج بأخرى، لأن من الواجب على الزوجة في جميع الأحوال احترام زوجها ووالديه ومعاملتهما بالحسنى .

إذن الفصل في مثل هذه الأمور متعلق على الابن بالدرجة الأولى في النظر لمتسبب المشكلة ومن ثم علاجها بما يرضي الله تعالى الأمر، وليستعن بالله تعالى على ذلك إذ هو ولي التوفيق سبحانه ...

أبيات في حق الأب :

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إن أبي أخذ مالي فقال النبي ﷺ للرجل : **فأتني بأبيك** فنزل جبريل عليه السلام على النبي ﷺ **فقال : إن الله عز وجل يقرئك السلام**

ويقول لك : إذا جاءك الشيخ فاسأله عن شـــيء قالـــه في نفسه ما سمعته أذناه فلما جاء الشيخ قال له النبي ﷺ : **مـــا بال ابنك يشكوك أتريد أن تأخذ ماله** فقال : سله يا رسول الله هل أنفقه إلا على إحدى عماته أو خالاته أو على نفسي فقال له رسول الله ﷺ : **إيه دعنا من هذا أخبرني عن شيء قلته في نفسك ما سمعته أذناك** فقال الشيخ : والله يا رسول الله ما زال الله عز وجل يزيدنا بك يقينا لقد قلت في نفســـي شيئا ما سمعته أذناي قال قل وأنا أسمع قال قلت :

غدوتك مولوداً وعلتك يافعاً

تعل بما أجني عليك وتنهل

إذا ليلة نابتك بالشجو لم أبت

بشجوك إلا ساهراً أتململ

كأني أنا المطروق دونك بالذي

طرقت به دوني وعيني تهمل

تخاف الردى نفسي عليك وإنها

لتعلم أن الموت حتمٌ مؤجل

فلما بلغت الســـن والغاية التي

إليهما ما كنت فيك أؤمل

جعلت جزائي غلظة وفضاضة

كأنك أنت المنعم المتفضـــل

فليتك إذا لم ترع حق أبوتي

فعلت كما الجار المجاور يفعل

فأوليتني حق الجوار و لم تكن

علي بمال دون مالك تبخـــــل

قال فحينئذ أخذ النبي ﷺ بتلابيب ابنه وقال : **أنت ومالك لأبيك)**[1]. فتدبر أخي القارئ هذه الأبيات واستحضر عظم حق الأب والأم على ولدهما .

صور من حال السلف مع آبائهم وأمهاتهم[2]:

أعرض لك أيها القارئ الكريم ختاماً بعض الصور من حياة السلف الصالح مع آبائهم وأمهاتهم عل الله تعالى أن يشرح بها الصدور ويرقق القلوب ويحرك المشاعر والأحاسيس فنستشعر عظم بر الوالدين، المرتبط برضا الله جل شأنه . فمن تلك الصور :

---

[1] رواه الطبراني في المعجم الأوسط رقم ٦٥٧٠ . والمعجم الصغير رقم ٩٤٧ .

[2] هذه الصور مستقاة من عدة كتب، صفة الصفوة لابن الجوزي، سير أعلام النبلاء للذهبي، حياة الصحابة للكاندهلوي .

كان بعض السلف إذا أكل مع أمه لم يأكل إلا بعـــد أن تشبع خشية أن يسبقها للقمة نظرت إليها واشتهتها نفسها، وكان بعض السلف إذا تكلم مع أحد أبويه ولا سيما أمه لا يكاد يسمع صوته تأدباً واحتراماً لهم، وكان بعض الســـلف إذا مشى مع أبيه مشى خلفه ولا يمشي أمامه أو معه تقديراً له واحتراماً، وكان بعض السلف لا يتكلم بحضرة أبيـــه أمـــام الناس حياءً منه .

وكان بعض السلف إذا نادته أمه أجابها على الفور حتى ولو كان يصلي (صلاة نفل وليست فرضاً) وكان بعضهم لا ينام إلا عند قدمي أمه طلباً للجنة كما في الحديث .

وكان بعض السلف يقوم على خدمة أبويه وهما عاجزان فيزيل من تحتهما القذارة من غائط وبول دون تضـــجر مـــن ذلك أو اشمئزاز، وكان بعض السلف يبر أبويه رغم قســـوة

قلبيهما عليه، حتى أنهما كانا إذا رأيا منه حسناً جحداه وإذا رأيا منه قبيحاً أذاعاه ومع ذلك فهو يبر بهما ويصبر عليهما، وهذا يعد من أعظم حالات البر .

وكان بعض السلف يتمرغ عند قدمي أمه ثم يقول لغيره كنت أتمرغ في روضة من رياض الجنة، ويستشهد بقول (الجنة تحت أقدام الأمهات) .

ويحكى عن بعض السلف الصالح أنه لما ماتت أمه قال : كان لي بابان مفتوحان إلى الجنة اليوم أغلق أحدهما، وقد صدق لأنه شبه الوالدين ببابين موصلين إما إلى جنة وإما إلى نار .

وكان الرجل من السلف الصالح يقدّم ويفضل أبويه ومصالحهما على أبنائه وزوجته في كل التصرفات، ولعل هذه النقطة مما ابتلي به الكثير من الناس اليوم فصار يقدّم مصلحته

ومصلحة زوجته وأبنائه على أبويه، ونسي الفضل الذي لهم عليه، فبشره بالمثل من أبنائه .

والقصص التي من هذا النوع في بر الوالدين وطاعتهما والسعي على راحتهما كثيرة وكتب الأولين مليئة بها والحمد لله رب العالمين ...

خاتمة

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذه الرسالة المتواضعة جميع المسلمين وأن يرقق قلوب العصاة والعاقين على آبائهم وأمهاتهم وأن يصلح حال الآباء والأمهات والأبناء والبنات .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين اللهم آمين

المراجع :

١- القرآن الكريم .

٢- كتب التفسير :

- معالم التنزيل للبغوي .
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي .
- تفسير ابن كثير .

٣- كتب الحديث الشريف :

- الكتب الستة : (البخاري، مسلم، أبو داود، الترمـــذي، النسائي، ابن ماجة) .
- سنن النسائي الكبرى .
- مسند الإمام أحمد .

د- بعض كتب الحديث الأخرى :

- المستدرك على الصحيحين للحاكم .
- السنن الكبرى وشعب الإيمان للبيهقي .

- صحيح ابن حبان .
- معاجم الطبراني الكبير والأوسط والصغير .
- مسند الزار .
- مسند الشهاب للقضاعي .
- شرح السنة للبغوي .
- مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا .
- الكنى والأسماء للدولابي .

٤- كتب السير :

- صفة الصفوة لابن الجوزي .
- سير أعلام النبلاء للذهبي .
- حياة الصحابة للكاندهلوي .

الفهرس

المقدمة.....٣
عظم حق الوالدين.....٥
حقوق الوالدين على ولدهما ٣٢
حقوق الولد على والديه ٣٧
من ثمرات البر والطاعة ٤١
أسباب العصيان ٤٦
أبيات في حق الأب ٥٩
صور من حياة السلف.....٦٢
الخاتمة ٦٥
المراجع ٦٦
الفهرس ٦٨